**المنهج الفني :**

ملامح المنهج الفني عند ميخائيل نعيمة - للقراءة فقط

١

## 1- تعريف المنهج الفني :

"المنهج الفني هو مواجهة الأثر الأدبي بالقواعد والأصول الفنية " (1) ويعتمد هذا المنهج على التأثر الذاتي للباحث كما يعتمد على عناصر موضوعية وعلى أصول فنية لها حظ من الاستقرار " فهو منهج ذاتي موضوعي وهو أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب وطبيعة الفنون على وجه العموم " (2) .

ومعنى ذلك أن المنهج الفني يقوم على ركيزتين مختلفتين ومتكاملتين في أن واحد هما الذاتية والموضوعية .

أما الذاتية فتمثل المنحى الجمالي الذي تولده عملية القراءة (3) وتتمثل في ذلك الجانب الذي نسميه النقد التأثري ، ولكنها لا تعني الاستسلام للأهواء والميول الشخصية لأن النقد التأثري كما يقول لانسون (G.LANSON) :

"نقد مشروع لا غبار عليه ، ما ظل في حدود مدلوله ، فالرجل الذي يصف ما يشعر به عندما يقرأ كتابا مكتفيا بتقرير الأثر الذي تخلفه تلك القراءة في نفسه ، يقدم بلا ريب للتاريخ الأدبي وثيقة قيمة نحن في حاجة ماسة إلى أمثالها مهما كثرت ولكن مثل هذا الناقد قلما يمسك عن أن يزج بأحكام تاريخية خلال وصفه لأثر الكتاب الذي يقرأه [ ...] وكل ما نطلبه هو أن لا ينتحل هذا النقد لنفسه صفة التاريخ وألا يقبله الجمهور كتاريخ بينما هو في الغالب نقد أهواء أو تحيز يتخذ المذهب الذي يؤمن به مقياسا يفسد حقائق الأفكار بل وحقائق الوقائع ".

وإذا كان النص الأدبي " يختلف عن الوثيقة التاريخية بما يثر لدينا من استجابات فنية وعاطفية فانه يكون من الغرابة والتناقض أن ندل على هذا الفارق في تعريف الأدب ، ثم لا نحسب له حسابا في المنهج ، لن نعرف قط نبيذا بتحليله تحليلا كيماويا أو بتقرير الخبراء دون أن نذوقه بأنفسنا وكذلك الأمر في الأدب فلا يمكن أن يحل شيء محل التذوق "(4).

---

(1) سيد القطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ط 1، غير مؤرخ، دار الشروق ، ص 136 .

(2) المرجع نفسه ، ص 137 .

(3) نبيلة إبراهيم ، فن القص في النظرية والتطبيق ، 63 – 66 .

(4) غوستاف لانسون ، منهج البحث في تاريخ الآداب ترجمة محمد مندور ، ملحق النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر ، 1972م ، ص 396 .

والشيء الأساسي هو " ألا أتخذ من نفسي محورا وأن لا أجعل لمشاعري الخاصة ، ذوقي أو معتقداتي ، قيمة مطلقة أراجع تأثراتي وأحد منها بدراسة أغراض المؤلف وتحليل كتابه تحليلا داخليا موضوعيا ، وبالنظر في التأثرات التي أحدثها الكتاب عند أكبر عدد من القراء ، أستطيع أن أصل إليه في الحاضر أو الماضي ، فتلك تأثرات لها من الدلالة والاعتبار ما لتأثراتي ، وبفضلها أضع الكتاب في مكانه " (1) .

و "ما دامت التأثرية هي المنهج الوحيد " الذي يمكننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها فلنستخدمه في ذلك صراحة ولكن لنقصره على ذلك في عزم ولنعرف مع احتفاظنا به كيف نميزه ونقدره ونراجعه ونحده وهذه هي الشروط الأربعة لاستخدامه ومرجع الكل هو عدم الخلط بين المعرفة والإحساس واصطناع الحذر حتى يصبح الإحساس وسيلة مشروعة للمعرفة ... " (2).

ومعنى ذلك أن التأثر الذاتي ليس ضروريا فقط للمنهج الفني وإنما هو واقع لا سبيل لإنكاره أو التخلص منه، بل أكثر من هذا فالتأثر هو الأساس في نظرية القراءة وفي جماليات التلقي.

وما دام الأمر كذلك فانه لا بد من الحرص المستمر على التمييز بين التأثر الذاتي وبين الوسائل الموضوعية في المعرفة .

وأما الركيزة الثانية للمنهج الفني وهي الموضوعية فتتمثل في تلك القواعد والأصول الفنية المستقلة عن ذواتنا ، وهي لا تتمتع بالاستقلالية فقط ، وإنما تتمتع بقدر كبير من الثبات والاستقرار أيضا ، ولكن ليس معنى ذلك أنها جامدة أو متحجرة ن بل هي مرنة ومتطورة ومتنوعة فهي متنوعة بتنوع الفنون الأدبية ومتطورة بتطور الطيارات والمذاهب الفكرية ، فقواعد الجمال في فنون النثر تختلف عنها في فنون الشعر وقواعد القصة تختلف عن قواعد الرواية وتختلف المسرحية عن الاثنين ...

---

(1) غوستاف لانسون ، منهج البحث في تاريخ الأداب ، ص 403 .

(2) المرجع نفسه ، ص 405 .

ومن أمثلة ذلك تطور النظرة إلى منبع الجمال في العمل الأدبي ، فقد كان الجمال عند ابن قتيبة مقسما بين اللفظ والمعنى وهو لا يعدو عنده أربع حالات أو أربعة أضرب :

" ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه و ضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا في المعنى و ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه و ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه " (1).

وفحوى ذلك أن المعاني يمكن أن تكون جميلة بغض النظر عن الألفاظ التي احتوتها والألفاظ أيضا يمكن أن تكون جميلة في ذاتها بغض النظر عن المعاني التي تقمصتها.

ولكن الأمر يختلف عند عبد القادر الجرجاني الذي يوحي كلامه بأنه يعطي الأولوية للمعاني ولكنه في الحقيقة لا يرى أي جمال في الألفاظ منفردة ولا يقر بأي جمال للمعاني عارية .

ولكن الجمال عنده مشروط بـ"النظم " وبالسياق الذي لا يمكن أن نفصل فيه بين الألفاظ والمعاني ، وما قدم المعاني والألفاظ لأن : " ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة ، وان اللفظ لا مزية له في ذاته وإنما مزيته في تناسق معناه في اللفظ الذي يجاوره في النظم - أي تنسيق الكلمات والمعاني مجتمعة بحيث يبدي النظم جمال الألفاظ والمعاني المجتمعة – وان الجمال الفني رهين بحسن النسق أو حسن النظم كما انه لا اللفظ منفردا موضع حكم أدبي ، ولا المعنى قبل أن يعبر عنه في اللفظ وإنما هما باجتماعيما في نظم يكونان موضع استحسان أو استهجان .... " (2).

ومن أمثلة ذلك التطور أيضا ، ما نراه في النقد الحديث من اختلاف معايير الجمال وقواعده باختلاف المدارس والتيارات الفكرية ، فالصورة الشعرية لكي تكون جميلة عند الكلاسيكيين يجب أن تلتزم بقيود نظرية المحاكاة وألا تبتعد كثيرا عن حدود المعقول ولذلك فان الخيال فيها يجب أن يظل مرتبطا بالواقع وأن يقتصر على محاكاة الطبيعة (3).

---

(1) محمد بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تقديم الشيخ حسن تميم، بيروت، دار احياء العلوم، 1977 م،ص 24 – 27 .

(2) سيد قطب ، النقد الادبي أصوله ومناهجه ، ص 147 - 148.

(3) ينظر: محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1971 ، ص 411 – 412 .

١١:٢٩ %٣٤
ملامح المنهج الفني عند ميخائيل نعيمة - للقراءة فقط



ولكن الأمر يختلف عند الرومانسيين الذين اختلف عندهم مفهوم الخيال فأصبح أقوى قوى العقل بعد أن كان عند غيرهم مرادفا لمعنى الموهم ، ولذلك فهو الملكة الوحيدة التي تستطيع أن تجمع بين المتناقضات بشكل متناسق وجميل .

ومعنى ذلك انه ليس شرطا أن تلتزم الصورة الشعرية بمحاكاة الواقع وكلما كانت اقدر على فعل ذلك بشكل متناسق كلما كانت أكثر جمالا وتوغل الرمزية في هذا الاتجاه بدعوى أن اللغة لا تستطيع أن تعبر عن كل المشاعر والأحاسيس الإنسانية المعقدة ، ولذلك يجب أن تتجاوز الصورة الشعرية الواقع لتعبر عن أثره في النفوس بشكل إيحائي يمكن أن يؤدي بتراسل الحواس مثلا . وأما السريالية فتتجاوز كل ذلك بداعي أن الإنسان لا يعيش بشعوره فقط وإنما يعيش أكثر من ذلك بلا شعوره ولذلك فان الصورة الأدبية الجميلة هي تلك التي تتجاوز الشعور لتعبر عن مكونات اللاشعور بشكل يشبه أحلام اليقظة ويحتاج مثل الأحلام إلى تأويل(1) .

وهكذا فان القواعد والأصول الفنية والموضوعية التي يستخدمها المبدع ويرجع إليها الباحث ليست ثابتة تماما ، وليست مستقرة باستمرار ولذلك يجب على من يستخدمها مدركا لتنوعها ولتطور مساراتها وألا يتعصب أو ينحاز لمدرسة من المدارس ، أو لفكرة من الأفكار بل عليه أن يتعامل معها جميعا من حيث هي وسائل موضوعية تساعده على تقييم العمل الفني الذي هو موضوع بحثه ، بما يتناسب والأصول الفنية السائدة في عصره وألا يصدر عليه حكمه لمجرد مخالفته للقواعد الفنية التي كانت مقررة في الماضي ، " كما فعل بعض الدارسين القدماء حيث عابوا على المولدين والمحدثين طريقتهم واستهجنوا شعرهم لا لشيء سوى أنه خالف طريقة القدماء ، ولم يمر على ما قرروه من قواعد فنية " (2) ، ومن هؤلاء ميخائيل نعيمة الذي ثار على المقلدين حتى وصل به الأمر لتشبيه تتاجيهم بنقيق الضفادع .

---

(1) ينظر: محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص 413 – 426 .

(2) سيد القطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص 137 – 138 .

## 2 - تعريف النقد الفني:

هو" الذي يعتمد على الذوق الخاص القائم على التجربة الشخصية فيبتعد عن المنهج الموضوعي العلمي فهو نقدنو طابع غير مقنع لأنه لا يهتم بالنصوص بل كل اهتمامه بأثرها على نفسه فمقياسه الشعور و الذوق" .(1)

و هو كل نقد أخرجه صاحبه تحت تأثير الانطباعات الأولية السريعة,أو الأهواء الشخصية المتحيزة ,أو المزاج الفردي الخاص ,ولم يخرجه نتيجة تأمل ودراسة متقنة تعتمد على معايير وضوابط متفق عليها. ويكون غالبا هذا النوع من النقد أحكاما عامة غير معللة حيث يصف الناقد النص بصفة ما ولا يفصلها ,ولا يبين الأسباب التي جعلته يطلقها ,كأن يقول:هذه أعظم قصة أو مقاله أو هذا أشعر بيت أو أبدعه...ويذكر أسباب سطحية غير مقنعة لاتكفي أن يحكم عليها بهذا الحكم وغالبا ما يكون حكم الناقد على حسنة معينه فيعممها على كل النص أو خطاء معين فيعممه,لان الناقد بناء نتيجة انفعالاته المباشرة ولم ينظرفي أجزاء النص كلها ولم يهتم بالقواعد التي أتفق عليها العلماء.

يكثر هذا النوع من النقد في المراحل المبكرة من تاريخ النقد ,أي قبل أن يتحول إلى علم واسع ,ويكثر الآن عند فئات من النقاد منهم: المبتدئون الذين لم يتمرسوا في الأدب ,والمتعصبون الذين يتحمسون لأديب ما فيظهرون حسناته وحدها ,ويحكمون عليه من خلالها ويغفلون عن عثراته, والمزاجيين الذين تكون لهم ميول فردية خاصة فيعجبون في الأعمال التي توافق أهوائهم ويعيبون الأعمال التي تخالفها .وطبيعي أن مثل هذا النقد لا يفيد المجتمعات الإنسانية,فلا يرتقي بأذواق الجمهور ,ولا يساعد الأديب على تحسين إنتاجه ,لان مقاييس الجمال والقبح فيه ذاتية وغير مستقرة.(2)

---

(1) حميد لحم ثويني،دار، منهج النقد الادبي عند العرب ، الصفا للنشر والتوزيع ، عمان، ط1، 2004م ، ص19.

(2) موقع الكتروني :

www.diwanalarab.com/spip.php

المبحث الثالث : أسس وخصائص وأنواع المنهج الفني:

1 - أسسه :

النقد الفني باعتباره أقدم منهج للنقد ظهر في التاريخ له ارتباط وثيق بالقيمة، لذلك فهذاالنوع من النقد غير مستقل عن المدح أو الذم (1) . وهذا النقد يقوم به أناساعتادوا بحكم طول مزاولتهم لقراءة الأدب على ما يقرؤون بالجودة أو الرداءة.

هو منهج يقوم على أسس فنية تعد قواعد و أصولا له و أهدافه :

* تمييز الجنس الأدبي.

* توضيح القيم الشعورية و التعبيرية و انطباقها على القواعد .

* معرفة خصائص الأديب من ناحيته الفنية و التعبيرية و هذا المنهج يرتكز على أساسين:

- التأثر الذاتي من الناقد.

- عناصر النص الموضوعية و الأصول الفنية .

وهذا المنهج ذاتي موضوعي و هو أحرى بالقبول لدى دارسي الأدب و ناقديه ، من خلال هذا المنهج يكون هناك عدة خطوات :

أولا : مواجهة النص المراد تحليله و نقده من خلال تمييز جنسه شعرا أو نثرا و ما مدى توفر الخصائص المقررة من قبل العلماء لكل جنس أدبي أما الشعر فهو عند من الفنون لكل منها خاصية ، وهذه الفنون هي فن المدح ، الفخر ، الهجاء، الوصف ، الغزل ، الرثاء ، العتاب ،الاعتذار ، الحماسة ، الحكمة ، و من فنون النثر الرسالة بنوعيها السلطانية و الإخوانية و الرسالة الأدبية ، المقامة ، المفاخرات ، رسائل الصيد ، الإجازات العلمية ، القصة ، و من فنون النثر المستحدثة الحديث الإذاعي و المقال الصحفي .

---

(1) ينظر: محمد مندور،الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، دون تاريخ، ص 128 .

ثانيا: أن ينظر الناقد ا للنص الأدبي نظرتين ذاتية و موضوعية .
ثالثا: أن يوضح الناقد القيم الشعورية في النص و التي لابد من توافرها ثلاثة أمور:

- قدرة الأديب على نظرته الشاملة
- معرفة الطابع الخاص بالأديب
- معرفة الصدق الفني لدى الأديب و الذي يعني صدق التأثر بالموقف و صدق التأثيرية في الناس(1).

رابعا: أن يوضح الناقد القيم التعبيرية في النص و هي ألفاظ ودلالات لهذه الألفاظ و تراكيب علوم وفنون تحكم هذه التراكيب ، بهذا فالقيم التعبيرية و القيم الشعورية متلازمان في العمل الأدبي ، فالقيم التعبيرية تكون بالألفاظ و دلالتها و هما معنيان دلالة علة المعنى الذهني و دلالة على الصور و الظلال المصاحبة للمعنى و هذا ما يهتم به الناقد أكثر أما مجال اللفظ المفرد ينبغي أن تتصف بالدقة و القدرة على الإيحاء و السيولة و الألفة و الطرافة و الشاعرية و الاستعمال و الإفادة و الرقة و عدم التكرار و عدم الإكثار من المصطلحات أما في مجال التراكيب فلا بد من الالتزام بالمعايير المختلفة للعلوم كالنحو و الصرف و اللغة و المعاني و البيان و البديع أما موسيقى اللغة فالعربية غنية بموسيقاها فالموسيقى إذا في النثر و الشعر على حد سواء من خلال ما سبق في الحقيقة يمكن القول بأن المنهج الفني هو أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب العربي ..

---

(1) ينظر:عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي ، ط 6 ، 1976 ، ص 108.